

التّعايش الدّينيّ في مدينة البصرة من خلال كتب  
الرّحلات

Religious Coexistence in Basra Through  
Books of Trips

أ.د. متعب خلف جابر م.د. منتصر حسن دهيرب  
جامعة المثنى / كليّة الرّبية للعلوم الإنسانيّة / قسم التّاريخ

Dr. Mit'eb Kh. Ja'far, professor

Dr. Muntaser H. Dhaireb, lecturer

(Department of History, College of Education for Human  
Sciences, Al-Muthanna University)



## ملخص البحث

تشكّل الرّحلات مصدراً من مصادر المعلومات الغنيّة في الكتابة التاريخيّة، فقد حرص الرّحالة على ذكر الأمور التفصيليّة للمناطق والأحداث التي يمرّون بها؛ لذا سلّطنا الضّوء على ذكر التعايش الدّينيّ في مدينة البصرة من خلال كتب الرّحلات؛ إذ اشتهرت البصرة بكونها ملتقىً اقتصادياً وثقافياً بين مختلف الأديان والمذاهب، وتميّزت عن غيرها من المدن بكونها سمحت بالتعايش الدّينيّ بين أبنائها، بل زادت على ذلك بأنّ البصريّين تشاركوها سويّاً في الاحتفال بمناسباتهم الدّينيّة، وأظهر وصف الرّحالة للتعايش الدّينيّ عمق الأواصر التاريخيّة الرّابطة بين أبناء المدينة على مختلف العصور.

## Abstract

Trips are considered to be a source of very rich historical information. Travelers are keen to write down in detail of places and events. This paper thus sheds light on religious coexistence in Basra via books written by those travelers. Basra has been famous for being a cultural and economic meeting-place for various religions and doctrines allowing coexistence to pervade among its inhabitants. The people of Basra used to take part in religious festivals belonging to various religious sects. As such, close historical links tied people of Basra for a long time.

## مقدمة

تُعدُّ البصرة واحدة من مدن العراق المهمّة كونها تمثل ثغره على الخليج، وبوّابته الاقتصادية الأهم؛ لذا كانت المدينة وجهة للتجار والرّحالة والبعثات التنصيريّة في الخليج، فقد شغلت هذه المدينة حيّاً واسعاً في الكتابات التاريخية القديمة والحديثة؛ نظراً إلى أهمّيّتها الواسعة في مختلف الميادين. ونتيجة لذلك قصد المدينة العديد من الرّحالة الأجانب، سجّلوا في رحلاتهم كلّ ما شاهدوه عن المدينة، حتّى لم تغادر كتب الرّحالة ذكراً عن تلك المدينة. ومن خلال ذلك استخلصنا ذكر الرّحالة الأجانب للتعايش الدّينيّ في البصرة، على الرّغم من أنّهم لم يذكروا ذلك بصورة صريحة، لكنّ وصفهم حالة التعايش المجتمعيّ كان يؤكّد ذلك، فقد ذكر كلّ الرّحالة الذين زاروا المدينة الأقليّات الدّينيّة، وحالة التعايش المجتمعيّ بين أبناء البصرة وتطوّرها خلال حقبة زمنيّة مختلفة.

كانت البصرة إحدى المدن المهمّة التي حرص الرّحالة على الوصول إليها والكتابة عنها، فهي مدينة مهمّة من حيث الموقع الجغرافيّ والتنوّع الاجتماعيّ؛ لذلك حرصنا في هذا البحث على الكتابة عن المجتمع البصريّ وطبيعة التنوّع الدّينيّ والتعايش بين أبناء الأديان، وخلال حقبة مختلفة، فكلّ رحلة كانت تفصلها عدّة سنوات عن الرّحلة الأخرى، ما يُساعد الباحث على تتبّع التطوّر

المجتمعي، واستمرار التعايش السلمي من عدمه، وإيجاد صور حقيقية لذلك التعايش، أو لكي لا ينسب ذلك لسلطة معينة<sup>(١)</sup>.

تكمّن أهميّة اختيار هذا العنوان موضوعاً للبحث لسببين:

١- أهميّة تسليط الضوء على روية الرحّالة الأجانب للمجتمع البصريّ وعلاقتها المجتمعيّة، ومدى أصالة ذلك التعايش، وامتداده التاريخيّ حتى يومنا هذا لدى البصريّين بصورة خاصّة والعراقيّين على وجه العموم.

٢- إنّ فكرة الكتابة عن التعايش الدينيّ في كتب الرحّالة تُعدّ من الموضوعات الجديدة في السّاحة البحثيّة، فالكثير من الباحثين أشبعوا مدينة البصرة بحثاً في تاريخها السّياسي والاقتصاديّ والعسكريّ، فيما لم يُسلّط الضوء بصورة كافية على الدراسات التاريخيّة المجتمعيّة، لاسيّما في رؤية الغير، مثل الرحّالة الأجانب. قُسم البحث على عدّة موضوعات تنوّعت بين الأهميّة الجغرافيّة لمدينة البصرة وأثرها في التعايش الدينيّ بين الطوائف، والأهميّة الاقتصاديّة للمدينة ودورها في تنمية ذلك التعايش، فيما يتمّ الإشارة إلى العلاقات المجتمعيّة التي أشار إليها الرحّالة بين أبناء مدينة البصرة في كتب رحلاتهم، وعلاقة السلّطة السّياسيّة بالأقليّات الدينيّة.

### ١- أسباب الرحّلات وأهميّتها

تُعدّ الرحّلات واحدة من الرّكائز المهمّة التي يستند إليها الباحث العلميّ في كتابته الفكرية أو الوصفية، وتكمّن أهميّة تلك الكتابات في كونها تشتمل على عنصرين مهمّين، هما: المعاصرة الزمكانيّة للحدث، فضلاً عن أصالة المعلومة

المنقولة عنها. فالنصّ الرحليّ هو نصٌّ مملوءٌ بالأحداث التي اعتادت العين على مشاهدته وإطالة التمعّن به، ويُعدّ مهماً جداً في التوظيف عند الكتابة التاريخية؛ لملازمته الحدث، كما أسلفنا<sup>(٢)</sup>.

أمّا الرّحلات، فهي متنوّعة من حيث المظهر والهدف والغاية، فمنها ما كانت لأهداف إمبرياليّة، أو استكشافيّة، أو تبشيريّة، أو استطلاعيّة معرفيّة، فضلاً عن الرّحلات الاستخباريّة. وقد حرص رواد الرّحلات على إيراد وصفٍ دقيقٍ للمناطق والأحداث التي يمرون بها؛ لذا نجد أنّ الرّحلة الواحدة تتنوّع بين الوصف الجغرافيّ والسيّسولوجيّ والمناخيّ والسيّاسيّ، ويمكن القول إنّ النصّ الرحليّ هو نصّ بانوراميّ، إلّتقط لمجتمع معيّن في مرحلة من مراحلها، ووضّع تحت ناظرنا للتزوّد منه معرفياً<sup>(٣)</sup>.

اجتاح الأقطار الأوربيّة في القرن الخامس عشر تيارٌ مهمٌّ عُرف بتيّار الإنسانيّات، فانكبّ أرباب ذلك العصر على البحث والتنقيب عن التّراث القديم، بدءاً بالتّراث اليونانيّ واللاتينيّ، ونهايةً بالشّرق. وفي نهاية القرن السّادس عشر توجه علماء الغرب إلى البحث في التّراث الفكريّ والأدبيّ الشّرقيّ، واستكشاف الحضارات القديمة، فقد شرّع الباحثون بالتعمّق في دراسة حضارة الشّرق، وبمختلف ميادينها، مثل: (الطبّ، الرّياضيّات، الفلك، الفلسفة)، فيما عكف غيرهم على دراسة التاريخ والحضارة الإسلاميّة، وكانت الغاية الرّئيسة في ذلك هي نشر الدّيانة المسيحيّة، ومجادلة رجال الدّين المسلمين<sup>(٤)</sup>.

كان العراق المحطّة الأبرز للرّحلات الأوربيّة، وذلك لعدّة أسباب، منها:  
١ - عمق حضارته وسعة ثقافته.

٢- يُعدُّ بلداً غنياً؛ لذا قصده الرّحالة لغرض التجارة.  
٣- يُعدُّ بلداً متعدّد الثقافات والأديان، وشعبه من الشّعوب المنفتحة دينياً،  
والمعايشة بصورة سلميّة.

ونتيجة لهذه الميزات زار العراق خلال المدّة (١٥٦٣-١٨٦٦م) عدّة رحالة،  
تنوّعت كتاباتهم بين وصف المجتمع العراقيّ والنقد الحضاريّ له<sup>(٥)</sup>.  
وتُعدّ بغداد والموصل والبصرة أهمّ الحواضر الثقافيّة العراقيّة على مختلف  
الأزمان؛ كونها تمثّل مراكز متنوّعة للثقافات العراقيّة، والتعدّدية الدّينيّة حاضرة  
بها؛ لذا قصد أغلب الرّحالة تلك المدن، وجعلوها مراكز انطلاق لرحلاتهم،  
وكتبوا وصفاً دقيقاً لكلّ مدينة، شمل الجوانب السّياسيّة والاجتماعيّة  
والجغرافيّة<sup>(٦)</sup>.

## ٢- الأهميّة الجغرافيّة والتجاريّة ودورها في التنوع والتعايش في البصرة

تقع البصرة على الضّفّة الغربيّة لشطّ العرب، وتقع على خطّي العرض (٣٠-  
٣١ درجة)<sup>(٧)</sup>. وتتماز البصرة بارتفاع درجة الحرارة خلال أشهر (حزيران، تمّوز،  
آب)، وقد أشار الرّحالة (سيستيني) أنّ درجة الحرارة خلال تلك الأشهر تصل  
إلى (٢٦ درجة) عند شروق الشّمس، وترتفع في وقت الظهيرة إلى (٤٦ درجة)<sup>(٨)</sup>.  
وقد امتازت البصرة بسوء بنائها؛ إذ تغطّي بساتين التّمر وحقول الحبوب  
المساحة الأوسع من المدينة، ويشقّ البصرة جداول فرعيّة صغيرة تكون مرتبطة  
بالنّهر الكبير، وتكثر القاذورات في أغلب شوارعها، حتّى عبّر عنها الرّحالة  
(نيبور)، بقوله «... لم أصادف في أيّ مكان آخر مدينة إسلاميّة أكثر قذارة من

هذه المدينة»<sup>(٩)</sup>.

يحيط بالمدينة سور ضخّم مبنيّ من مادّة اللّبن، ويبلغ طوله في الصّفّة اليمنى المطلّة على الصّحراء أربعة أميال تقريباً، ويبلغ من شماله إلى الجنوب ثلاثة أميال تقريباً<sup>(١٠)</sup>، ولسور المدينة أبواب خمسة، هي:

١- دروازة الرّباط، أو باب الرّباط.

٢- دروازة بغداد.

٣- دروازة حضرت الزّبير، أو باب الزّبير.

٤- دروازة الصّراجي (السّراجي).

٥- دروازة المجموعة.

وقد وصف الرّحالة الإيطاليّ (ديلافالیه) البصرة، بقوله «البصرة مدينة مترامية الأطراف، عامرة بالسّكان، رديئة العمران، قائمة على أرض مستوية مفتوحة، وهي غير مسوّرة، وقد أُحيطت بسور مؤخّراً بسبب الحروب التي شنّها الفرس عليها، وفي السور أبراج من الطّين، وقد تهدّم بعضها، وللمدينة أبواب تُقفل، وفيها من الأسواق، سوق الصّاعغة، وسوق المنسوجات...»<sup>(١١)</sup>، وتكثر في المدينة الحمامات العامّة، التي تقدّم الخدمات العامّة للنّاس<sup>(١٢)</sup>.

وللمدينة جامع ذو منارتين، وثمانية جوامع أُخرى بمنارة واحدة، وهناك أربعة جوامع صغيرة أُخرى يقصدها أهالي المدينة لأداء الصّلاة<sup>(١٣)</sup>.

تتألّف البصرة -حتىّ زيارة نيبور للمدينة عام ١٧٦٠م- من عدّة أحياء سكنيّة، أحصاها بأربعة وسبعين حيّاً، ونذكر بعضاً منها، وهي أحياء (مناخ، مشراق، ابن عيد، أمّ البزازين، شيخ بادي، شيخ قنبر، قبلة، معدان، محلّة اليهود،

محلّة مرجانة، حسن داده، الخ...)، ومما يعيننا من هذا أنّ (نيبور) ذكر محلّة باسم (محلّة اليهود)، وذكر أنّ كلّ محلّة مكوّنة -آنذاك- من (٣٠٠-٤٠٠) بيتاً، لكن تلك الأعداد لم يتحقّق منها الرّحالة، فهو يشير إلى أنّ تلك الأعداد لم تكن أعداداً مضبوطة؛ فقد ذكر له بعض أهالي المدينة أنّ كلّ محلّة تضمّ (١٠٠) بيت، وأنّ متوسط أعداد العوائل -آنذاك- يبلغ سبعة أشخاص<sup>(١٤)</sup>.

يبدو أنّ (نيبور) لم يكن متأكّداً من الأعداد الحقيقيّة لسكّان اليهود في البصرة، أو عدد منازلهم، فقد اعتمد في ذكر معلومته على الأخبار التي يزوّده الأهالي بها، وهذه بطبيعة الحال غير دقيقة، وخاضعة للتخمين.

تنماز البصرة بكثرة خيراتها، فهي تشتهر بزراعة النخيل، الذي ينتشر فيها بمختلف صنوفه، وتكثر فيها زراعة العنب والتين والتفاح والرّمّان<sup>(١٥)</sup>، وفيها وفرة من الرّزّ والقمح، وتنماز المدينة بتجارة التوابل والعقاقير، ومختلف السّلع الأخرى التي ترده عن طريق البحر، لكنّ المدينة تشكو من قلّة المياه العذبة، ويذكر الرّحالة (بالبي) سبب ذلك بأنّ أهل البلاد يُسمّدون الأرض بالبراز البشريّ، وعندما يفيض النّهر يجرف كمّيّة كبيرة من الأقدار، وهو ما يجعل طعم الماء أجاجاً؛ لذا فمَن يريد أن يشرب ماءً طيباً عليه الذّهاب مسافة نصف نهار ليرد الماء العذب<sup>(١٦)</sup>.

يرد الرّحالة إلى مدينة البصرة عن طريق نهري دجلة والفرات القادمين من شمال العراق أو أعالي الفرات، وبعض تلك الرّحلات والقليلة منها تأتي عن طريق الخليج العربيّ أو بلاد فارس، ويستعمل الرّحالة السّفن التي تُعرف (بالدّانك) خلال رحلاتهم؛ لأنّها الوسيلة الأسرع والأكثر أماناً من غيرها،

فالطريق البرِّي طريق محفوف بالمخاطر بسبب قطع الطريق<sup>(١٧)</sup>، أو الحيوانات البرِّيَّة المفترسة التي كانت تجوب مناطق وسط وجنوب العراق<sup>(١٨)</sup>. تستغرق المسافة بين البصرة وبغداد إبحار ثمانية أو تسعة أيام عن طريق نهر دجلة، وهذه المدة ترتبط بارتفاع النهر ومقدار توقّعات السفينة<sup>(١٩)</sup>. كان الوافدون إلى البصرة يُجبرون على دفع مبالغ مائيّة إلى الدّولة العثمانيّة ضريبة عن حمولاتهم، وبلغت قيمة تلك الضريبة (٦٪) من البضاعة الواردة<sup>(٢٠)</sup>، وهناك ضرائب غير رسميّة (إتاوات) تفرضها القبائل التي تمرّ بها الرّحلة. وفي كثير من الأحيان تتعرّض الرّحلات إلى مضايقات أو هجوم من تلك القبائل إذا امتنعت عن الدّفْع. فعند مدخل البصرة يقطن العرب الجزائريّون (سكنة الأهوار)، وهم يرفضون الخضوع للحكم العثمانيّ الذي لا يستطيع بدوره إخضاعهم؛ بسبب طبيعة المنطقة، وبنماز سكّانها بأنهم مقاتلون أشداء، وكانت تلك القبائل تفرض إتاوات على الرّحالة مقابل حمايتهم حتّى الوصول إلى البصرة<sup>(٢١)</sup>.

تشكّل البصرة العصب الاقتصاديّ للعراق، فهي تُرسل إلى بغداد وبقية المدن العراقيّة مختلف البضائع التي تردها عن طريق دول الخليج والهند، فينقل منها البضاعة الهنديّة، مثل: السكر، والقهوة، والبهارات، والأنسجة القطنيّة، والأخشاب الفاخرة، فضلاً عن ذلك كان للبضائع الأوربيّة سوق رائجة في العراق، مثل: القطن، والحريز، والأواني، والنحاس، والحديد الذي كان يصل من المصانع الإنكليزيّة والسويسريّة. فخلال سنة (١٨٩٩-١٨٦٧م) وردت إلى البصرة بضائع بقيمة (٤،٢١٤) مليون فرنك، أي ما يساوي (٨،٥) مليون باون

إنكليزيّ ذهب، أمّا صادرات البصرة، فكانت التّمور في طليعة الموادّ المصدرّة؛ إذ تبلغ صادراتها سنويّاً (٤٠-٥٠) ألف طنّ تقريباً تذهب للهند أو الخليج، وحتىّ الدّول الأوربيّة، وتضمن قيمة صادرات البصرة عام (١٨٦٦) مبلغ (١١، ٥) مليون فرنك، منها (٤) ملايين من التّمور، ومثلها للحنطة والشّعير والرّزّ، وما تبقى صوف وموادّ أخرى. أمّا المبالغ الماليّة الواردة من موانئ البصرة عام (١٨٦٦) بنحو (٩٠٠) ألف فرنك (الفرنك يساوي ٢٥ باون)، ويبلغ متوسّط عدد المراكب التي تدخلها وتخرج منها سنويّاً (١٦٧) باخرة، و(٨٠) سفينة شراعيّة كبيرة، و(٥٠٠٠) سفينة محليّة<sup>(٢٢)</sup>.

إنّ الحركة التجاريّة الكبيرة لمدينة البصرة حتم عليها أن تكون مدينة منفتحة دينياً؛ وذلك لأنّها تستقبل مختلف أنواع البشر في العام الواحد، فالعدد الكبير للتجار الأجانب، ومقدار واردات وصادرات البصرة، جعل منها مرفأً تجاريّاً مهمّاً، وزاد اختلاط المجتمع البصريّ مع مختلف الملل والدّول؛ لذلك ازاد انفتاح الأهالي على الشّعوب والديانات الأخرى، وزاد تسامحهم مع الأقليّات الدينيّة.

### ٣- التعايش الديني في البصرة

إنّ أقدم رحلة حصلنا عليها هي رحلة (بالي)، الذي زار المدينة في (١٢) آذار (١٥٨٠م)، ويذكر هذا الرّحالة أنّ مدينة البصرة كانت مدينة واسعة تزاول التجارة، وكان يقطنها الكثير من الوافدين والتجار غير المسلمين للتجار مع أهالي المدينة المسلمين، ولم يتعرّض أيّ من هؤلاء إلى سوء معاملة أو تعرّض من الأهالي أو الدّولة الفاتحة -آنذاك-، وهو يذكر أنّ أهالي البصرة يزاولون التجارة

مع بعض تجّار الهند الوثنيين الذين يعرفون أهل بنين<sup>(٢٣)</sup>، وقد كان هؤلاء التجّار يارسون حرّيتهم ومعتقداتهم دون أن يوثّر فيهم أحد، طالما يجترمون معتقدات أهل البصرة، لكن وبالرغم من ذلك، فإنّ الإساءة لمعتقدات المسلمين في البصرة كان يعرّض هؤلاء إلى النزول إلى الأحكام الإسلامية، ففي (٢٧ آذار ١٥٨٠م) قطع والي البصرة (ابن جيكال) رقاب ثمانية من هؤلاء الهنود؛ لأنّهم أساءوا إلى الدّين الإسلاميّ، وتعرّضوا له بالشّتم<sup>(٢٤)</sup>.

ويتبيّن من ذلك أنّ أهل البصرة استقبلوا وتعاملوا مع غير المسلمين أو أصحاب الكتاب، بل تبادلوا التجارة والأموال معهم، وذلك يدلّ على أنّ أهالي المدينة منفتحين دينياً وثقافياً على غيرهم، ولم يوصدوا أبواب مدينتهم أمام الأجناب مختلفي العقيدة، وهذه مفارقة واضحة تميّزت بها البصرة عن غيرها من المدن، فالحديث الدائر هنا عن نهايات القرن السادس عشر حيث المجتمع الملتمزم دينياً وعشائرياً، فضلاً عن الإدارة العثمانيّة ذات الطابع الدّينيّ، ونحن نشاهد هذا الانفتاح على الآخر؛ لذلك فإنّ ذلك يُعدّ نقلة نوعيّة للمجتمع البصريّ إذا ما قارناه بغيره من مناطق الخليج، التي رفضت التعامل مع الدّول الأوربيّة المسيحيّة.

لم تكن السّنوات التي تلت رحلة (بالبي) إلّا سنوات الانفتاح الثقافيّ الأكثر للبصرة. وقد أدّى هذا الانفتاح الدّينيّ إلى زيادة عدد الدّيانات، وزيادة معتنقيها، وقد ذكر الرّحالة (ديلافاليه) أنّ البصرة تحتوي عدداً غير قليل من الأقلّيّات الدّينيّة، وهم يارسون شعائرهم بحريّة كبيرة، فقد ذكر وجود عددٍ من النصاريّ الكلدان، ويشير إلى مركز تواجدهم في منطقة الحوية؛ إذ

ذكرهم بقوله: «في البصرة عدد من النّصارى الكلدانيّين الذي يطلق عليهم نصارى القديس يوحنا، أو الصّابئة، وليس لي فكرة بعدد بيوتهم، وليس لهم من النصرانيّة سوى الاسم، على ما أظنّ، فليس لهم كنيسة، بل يجلون في بيت كاهنهم الوحيد في البصرة أثناء وجودي....، ولا صيام لديهم، ولا قطاعة، بل يتناولون اللّحم على مدى الأيام...، عمادهم نفسه عماد القديس يوحنا... وهم يُجلّونه وبيالغون في الكرامة، وفي ظنّي أنّهم بقايا اليهود الذين نالوا العماد من يد يوحنا، ولهذا تمسّكوا بهذه الطقوس، يُعرفون عند العرب بالصّابئة، يتكلّمون فيما بينهم لغة الكلدانيّة محرّفة، تسمّى المندائيّة إلى جانب العربيّة، ومنها اسمها المعروف مندائيّ، بينما يُطلق عليهم الأوربيّون نصارى القديس يوحنا، وليس لديهم أناجيل، أقلّه هنا في البصرة، ولا كُتب أخرى مقدّسة ماعدا كتاب يسمّونه السّندرا<sup>(٢٥)</sup>، وهم يسيرون بأحكامه في أمور دينهم، لهم حروف خاصّة بلغتهم تختلف عن الكلدانيّة أو السّريانيّة القديمة والحديثة، وهذه الحروف يكتبون أسفارهم المقدّسة، وهم (أي العامّة) لا يعرفون هذه اللّغة قراءة أو كتابة، بل يقتصر الكهنة على معرفتها...»<sup>(٢٦)</sup>.

يبدو أنّ الرّحالة خلط بين الصّابئة والمسيحيّة، فالديانة المندائيّة تختلف كثيراً عن المسيحيّة من حيث المعتقدات والطقوس، لكن لسوء معرفة المندائيّين بعقائدهم الدّينيّة واختصارها على رجال الدّين فقط، جعل الكثير منهم لا يعرف المعتقدات الدّينيّة أو يميّزها عن غيرها من المعتقدات المتشابهة، كذلك قصر مدّة بقاء الرّحالة في البصرة أو بالقرب من المندائيّين، جعلهم يتوهّمون بأنّهم مسيحيّون.

كانت البصرة حتى وصول الرّحالة الإيطاليّ (ديلافالیه) عام (١٦٢٤م) قبلة للأجانب ولأصحاب الدّيانات الأخرى، ما أدّى ذلك إلى زيادة أعداد المسيحيّين القادمين إلى المدينة، فقد أشار (ديلافالیه) إلى ذلك، بقوله: «نظراً لوجود عدد كبير من المسيحيّين الأوربيّين في المدينة، فقد فتح الرّهبان الكرملیون مبعثاً لهم فيها...»<sup>(٢٧)</sup>.

وقد وصف (ديلافالیه) تلك الكنائس بصورة دقيقة، فأشار إلى معبد الآباء الكرملیين، وقال بأنّه شُيّد بصورة جميلة مع دیر ملحقٍ له، يحوي جوامع الرّهبان وغرف لعابري السبيل، وقد ابتاعوا قسماً من الأرض بما لهم الخاص، والقسم الآخر وهبهم إياه أفراسياب<sup>(٢٨)</sup> باشا، وقد وصف الرّحالة (سيستيني) ذلك الدیر، بقوله: «دير المبشّرين بالبصرة من أجل الصّروح بعد الشّركة الإنكليزيّة، وكنيسة الدیر كبيرة، وبنّاؤها جيّد...»<sup>(٢٩)</sup>. أمّا الرّهبان الأوغسطينیون، فإنّهم لم يشيّدوا ديراً خاصّاً بهم، وكانوا متردّدين كثيراً في ذلك الشّأن؛ لأنّهم خشوا من سقوط البصرة في قبضة الفرس؛ لذلك اكتفوا باستتجار دار للسكن وإقامة الصّلاة فيها، وكان (الباشا أفراسياب) يدفع ثمن تلك الدار، فقد كان الباشا يحسن معاملة البرتغاليّين وسائر المسيحيّين في البصرة نظراً إلى مساعدة البرتغاليّين له في مواجهة الفرس، وقد خصّص فضلاً عن ذلك راتباً شهريّاً ومساعدات للكنيستين<sup>(٣٠)</sup>.

شهدت البصرة خلال فترة حكم أسرة أفراسياب انفتاحاً ملحوظاً على الأقليّات الدّينيّة فيها، فمن خلال كلام الرّحالة الإيطالي (ديلافالیه) يظهر مدى التعاطف الذي كان يحظى به المسيحيّون في البصرة، وإنّ حُسن المعاملة

تلك كانت الغاية منها إرضاء البرتغاليين، الذين كان يرجو منهم حمايته من أيّ اعتداء على البصرة، وإن سياسة الدولة تنعكس إيجابياً على سلوك المجتمع، فالباشا أفراسياب عمد إلى الانفتاح على المسيحيين من خلال استئجار الكنائس لهم وحضور احتفالاتهم الدينية، وهو بطبيعة الحال مؤثر إيجابي على مدى التعاشيش الديني في البصرة، فلو كان المجتمع البصري يقف بالضد من وجود الأقليات أو فتح الكنائس، لما تمكن أفراسياب من دعمهم بصورة علنية، أو حضور احتفالاتهم؛ لأنه سيواجه معارضة من وجوه وأعيان البصرة.

تعرضت البصرة عام (١٦٢٣م) إلى حملة فارسية لإخضاع المدينة، فقد طلب الشاه من أفراسياب أن يتخلّى عن تبعيته للدولة العثمانية، ويتقبل التبعية الفارسية، وأن يسكّ النقود باسم الشاه، وأن يذكر اسمه في الصلاة، وأن يتخذ الأزياء الفارسية في الملبس، ومقابل ذلك أن يكون أفراسياب حاكماً للبصرة، وأن يكون الحكم وراثياً في أبنائه. وعندما رفض أفراسياب ذلك، جرّد عليه الشاه في السنة الثانية حملة عسكرية بقيادة حاكم شيراز إمام قلي خان، ولكن أفراسياب صدّ الهجمة بمساعدة الأسطول البرتغالي في البصرة، وأعاد الفرس الكرة مرّة أخرى سنة (١٦٢٥م)، فتقدّم البرتغاليون ثانية لنجدة البصرة، وأعاروا (عليّ الباشا) الذي خلف أباه في حكمهما خمس سفن مسلّحة، غير أنّ القوّة الفارسية انسحبت فجأة تاركة الكثير من أحمالها. ويرى (لونكريك) أنّه من المحتمل أن يكون سبب الانسحاب حدوث اضطراب في شيراز، أو ورده أمر من العاصمة أصفهان بذلك<sup>(٣١)</sup>.

لم تطف الأقلّيات الدينية مكتوفة الأيدي حيال الخطر الذي كان يدهم

المدينة، فخلال حصار البصرة الأول دعا الشيخ (عبد السلام الكواز) - وهو شيخ من شيوخ الطائفة الصابئية- في (١٩ آذار ١٦٢٣ م) أبناء دينه للدفاع عن المدينة، والوقوف مع إخوانه المسلمين في خندق واحد، وقد جمع من أفراد أسرته وأبناء دينه وأتباعه (٢٠٠) رجل، وتوجهوا لنجدة (عليّ باشا) بعد أن طلب الأخير من أبناء المدينة مساعدته في حرب الفرس، وقد استطاعت هذه القوة البسيطة أن تدافع عن المدينة، وتوقف التقدم الفارسي<sup>(٣٢)</sup>.

وقد يتساءل البعض عن الغاية التي دفعت الصابئة للدفاع عن المدينة، على الرغم من قلة عددهم؟

إنّ الانفتاح الديني أيام حكم أفراسياب وابنه عليّ أفراسياب أعطى للأقليات حريّة ممارسة شعائرهم الدينيّة بحريّة مطلقة، وإنّ الدّعم الكبير الذي حظيت به الأقليّات لم يكن كما هو في أيّ عهد مضى، وإنّ التعايش الدينيّ بين المسلمين والأقليّات دفع تلك الأقليّات -ومن واجب أخلاقيّ- إلى مشاركتهم في الدّفاع عن المدينة، وكذلك فإنّ الأقليّات كانت متخوّفة من أن تفقد هذه الحريّة وذلك التعايش في حالة سيطرة الدّولة الفارسيّة على البصرة؛ لذا حرص أبناء الطوائف على الدّفاع عن مدينتهم والحفاظ على ذلك التعايش الرّائع.

بعد ابتعاد الخطر الفارسيّ على البصرة سنة (١٦٢٤ م) احتفل البصريّون بافتتاح كنيسة ثانية للآباء الكرمليين، وهي كنيسة (مريم العذراء أمّ الشّفاء) في منطقة العشار، وأقيم احتفالٌ كبيرٌ بالمناسبة، وحضره جمعٌ غفيرٌ من النّصارى الأوربيّين والشّرقيّين بمختلف طوائفهم، فضلاً عن أعداد كبيرة من المسلمين، وذكر الرّحالة (ديلافاليه) تلك الحادثة والاحتفال، بقوله: «... وأعدّ في المساء

أنواراً كثيرة أشعلها عند حلول الظلام، وأوقد ناراً، وأطلق الجنود البرتغاليون عدداً لا يُحصى من العيارات النارية، وأرسل الباشا نحو خمسمائة من جنوده للدّير المذكور، وأطلق هولاء بدورهم عيارات نارية،... الحقّ يقال إنّ المدينة كلّها احتفلت بالمناسبة، النّصارى والمسلمون على السّواء...، وفي مساء يوم الأحد قبل غروب الشّمس، تفضّل الباشا نفسه مع بطانته، فزار الكنيسة والدّير، وعند خروجه ترك صدقة لأصحابه»<sup>(٣٣)</sup>.

إنّ كلام الرّحالة في هذه الحادثة مهمّ جدّاً، فعبارة «الحقّ يقال إنّ المدينة كلّها احتفلت بالمناسبة، النّصارى والمسلمون على السّواء» تُظهر مدى التعايش الدّينيّ والمسلمين في مدينة البصرة، فقد احتفل المسلمون وبفرح كبير نتيجة افتتاح الكنيسة في البصرة، ولم ينظروا إلى ذلك المكان على أنّه مكان للتبشير أو دعاية ضدّ الإسلام، بل تعاملوا مع الحدث بعفويّة جميلة وانفتاح رائع، وإنّ دلّ ذلك على شيء، فإنّه يدلُّ على عمق العلاقة الرّائعة بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الطوائف.

كانت البصرة ملتقى القوافل التجاريّة، ومهبط الرّحالة والرّهبان الأجنبيّ الذين سجّلوا في رحلاتهم الشّيء الكبير عن التعايش الدّينيّ السّلمي في البصرة، فقد كانت مدينة حضاريّة، والأحكام بها مدنيّة على الرّغم من تنوّعها الدّينيّ الظاهريّ، فأسرة أفراسياب كانت تربطها علاقات متوازية بين جميع الأديان، ولم يُفضّلوا أناساً على آخرين من حيث التعامل الدّينيّ، فقد أشار الرّحالة (سبستيان) إلى حادثة مهمّة وقعت عام (١٦٥٦م) عندما ردّت دعوى الحكومة المحليّة دعوى رفعها بعض رجال الدّين المسلمين الذين بنوا مسجداً بالقرب

من كنيسة، وطالبوا بهدم تلك الكنيسة؛ لأنّ ذلك يُعدُّ مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وقد ذكر (سبستيانى) ذلك، بقوله: «... وحدث قبل فترة وجيزة من حولنا أننا ربحتنا دعوى بواسطة (أي: الوالي) ضدّ الأتراك أنفسهم، وقد شيّدوا مسجداً بالقرب من كنيستنا، وعندما فرغوا من بنائه طالبوا بهدم الكنيسة، في حجة أنّ الشريعة تأمر بذلك...»<sup>(٣٤)</sup>.

لم يكن التعايش الدينيّ في البصرة يقتصر على التوادد والمحبة بين أبناء الطوائف، بل إنّ رجال الدين المسلمين كانوا يحترمون المعتقدات المسيحية، بل زادوا على ذلك عندما أقدموا على تسمية أحد مساجد المدينة باسم (عيسى ومريم)، وذلك يُعدّ احتراماً كبيراً للمسيحيين في المدينة<sup>(٣٥)</sup>.

كانت البصرة خليطاً كبيراً من السكّان متعدّدو الأديان والمذاهب، وفضلاً عن الصّابئة والمسيحيين كانت هناك بيوت عديدة من اليهود، فقد ذكر الرّحالة (سبستيانى) أنّ اليهود كانوا يعملون في الترجمة للولادة العثمانيين، وقد استخدمهم بعض الرّحالة عند لقائهم بالوفود العثمانية الرسمية<sup>(٣٦)</sup>.

لم يتوقّف الدّعم الحكوميّ لمسيحيي البصرة، فقد ذكر (سبستيانى) الدّعم الكبير الذي منحه (حسين باشا أفراسياب) لديرهم عندما زاره في تلك المدينة في آب (١٦٥٨ م)؛ إذ قال: «قبل مدّة قام الباشا بزيارة ديرنا في تلك المدينة، وقد دخل الكنيسة... ثمّ البستان، فرآها يابسة، فاستفسر عن السّبب، فقيل له قلّة الماء، فأمر في اليوم الثاني أن تُشقّ على نفقته ترعة من النّهر إلى داخل البستان مباشرة، فتمّ العمل بفترة وجيزة، كما أنّه سمح للأب منصور، الذي كان صديقه، أن يشيّد غرفاً جديدة من أجل راحته، ولفائدة الدير، هذا ما حدث فعلاً»<sup>(٣٧)</sup>.

استمرّ الرّحالة بالقدوم إلى مدينة البصرة وفتح الكنائس المسيحيّة وممارسة شعائرهم بحريّة تامّة، ففي عام (١٧٤٠م) ذكر الرّحالة (فليب الكرملّي) أنّه وخلال رحلته استطاع الاتّصال بالقناصل الأجنبيّ وتعليم الجنود واجباتهم الدّينيّة دون أن تعرّض حكومة البصرة على ذلك؛ إذ قال: «وأخيراً وصلنا إلى ديرنا في البصرة، فزار القناصل الثلاثة، أي: الفرنسيّ، والإنكليزيّ، والهولنديّ... وقد رجاني القنصل الفرنسيّ أن أصدع إلى سفينة فرنسيّة كانت تحمل إلى جانب الضبّاط نحو مائتي بحار يتمنّون أن يكملوا واجباتهم الدّينيّة.... فصعدتُ بطيب خاطر، ورافقني الأب بروسبيرو رئيس ديرنا في البصرة، وبقينا في السفينة ثلاثة أيّام، فهمنا خلالها مراسيمنا الدّينيّة»<sup>(٣٨)</sup>، وتبيّن من ذلك أنّ الحريّة الدّينيّة في البصرة مستمرّة، ولم تعرّض أيّ فرد لمضايقات على أساس معتقده، فالمبشّرون الدّينيّون، ومنهم (فليب الكرملّي) كانوا يتحرّكون ويزاولون أعمالهم الكنسيّة، ولم يُذكر إطلاقاً أنّ أحداً من البصريّين تعرّض له أو منعه من ذلك، وهذا يدلُّ على أنّ سمة التسامح والانفتاح في المدينة كانت سمة متلازمة لأهالي البصرة وطابع تنماز به مدينتهم.

إنّ أفضل الحقب التي مرّت بها البصرة من حيث التسامح الدّينيّ كانت فترة أفراسياب وأولاده، لكن بعد انتهاء عصر تلك الأسرة دخلت البصرة تحت الإدارة العثمانيّة، أو بالأدقّ تحت سلطة القوّات الإنكشاريّة، فلأخيرة امتيازات عظيمة في البصرة شأنها شأن جميع المدن التركيّة، ومن هذه الامتيازات أنّه ليس لأحد حقّ محاسبتهم إلّا قادة العسكر، فليس للوالي الحقّ في عقابهم أو الحقّ في مسألتهم، ففقداء الإنكشاريّة كانوا متواجدين في القرنة التي تُعدّ قلعتهم، أمّا

البصرة ففيها صغار الضباط فقط. وكان على أهالي البصرة بمختلف صفوفهم (الأغيا، والتاجر، والحمال، والملاح) أن يدفعوا مبالغ معيّنة لهؤلاء الإنكشارية مقابل حمايتهم، وقد قام الإنكشاريين بعد وفاة (سليمان باشا) من نهب بيوت النصارى واليهود والبنيان في وضح النهار، بل قاموا بنهب بيوت المسلمين الذين لم يسجلوا أنفسهم في قطعاتهم<sup>(٣٩)</sup>.

إنّ فساد الجهاز الحكومي في البصرة واضح للعيان، فالباشا كان يستحصل من الأغنياء مبالغ مالية لتأديتها للحكومة العثمانية؛ لذلك حرص أغلب أغنياء البصرة على عدم الظهور بمظاهر الأبهة والفخفة؛ خوفاً من أن تسطو الدولة على أموالهم، فتجبرهم على دفع مبالغ ليست بقليلة لصالح الحكومة، وقد شمل ذلك الإجراء جميع الأغنياء من المسلمين وغيرهم، ومن طريف القول ما نقله الرحالة (نيبور) عن حادثة وقعت مع تاجر أرمني عمل على بناء جسر في مدينة البصرة، حرص على تلوين ووضع الأحجار الجميلة فيه، كما عبّد طريقاً تصل المدينة بمقبرة قومه، لكنّ الحكومة المحليّة بدلاً من شكره أو الثناء عليه، عملت على فرض ضريبة كبيرة على ذلك التاجر، واضطرّ إلى دفعها، وأجبر على إقراض الدولة مبلغاً كبيراً من المال لم يسترجه فيما بعد، وبشأن ذلك أشار (نيبور) إلى أنّ عمل الأرميني لو كان في أوربا لقدّرته حكوماتها تقديراً كبيراً<sup>(٤٠)</sup>.

حاول (نيبور) أن يصف المذاهب والأديان في المدينة وطبيعة العلاقة بينهم، فقد ذكر فضلاً عن الأقليات الدينيّة طبيعة العلاقة بين المذاهب الإسلاميّة، فقد ذكر ما نصّه: «والمذهب الذي يسودّ المدينة هو المذهب السنيّ، وقد استوطن كثير من الشيعة في المدينة بسبب الاضطرابات الداخليّة في إيران. ولما كان السنة

يتحفّظون من الشّيعيّة أكثر ممّا يتحفّظون من منتسبي المذاهب الأخرى لنفس الدّين؛ لذا يدّعي أغلبهم أنّهم من السّنة أيضاً<sup>(٤١)</sup>.

يبدو أنّ سوء العلاقة بين السّنة والشّيعيّة في البصرة خلال تلك المدّة عائدة للطرح السّياسيّ بين الدّولتين الصّفويّة والعثمانيّة، الذي انعكس ضرره على الأهالي أنفسهم، فالدّولتان قائمتان سياسيّاً على أساس الخلاف المذهبيّ<sup>(٤٢)</sup>.

أمّا غالبيّة المسيحيّين في المدينة -بحسب نيور- فهم من الأرمن، وقد نزع أغلبهم من إيران، وذكر أنّ المدينة تضمّ أعداداً قليلة من الصّابئة المندائيّين الذين يمتنون الصّياغة عملاً لهم، وتوجد في المدينة عوائل من (البنانيان)، وما يقرب من (١٠٠) عائلة يهوديّة<sup>(٤٣)</sup>.

وعلى الرّغم من تعرّض البصرة لعدّة غزوات أجنبيّة كان أهمّها هجوم (كريم خان) عام (١٧٧٩م)، لكنّها حافظت على تنوّعها وفسيفسائها، فكانت العلاقة الرابطة بين أهالي المدينة والأجانب المقيمين بها قويّة جدّاً، فبعد انسحاب (كريم خان) من المدينة قرّر أن يبيع الأسرى العرب، وهم من أهالي البصرة، وفور سماع الشّركة السّركيّة الإنكليزيّة ذلك الخبر أقدمت على شراء العرب، وإطلاق سراحهم، وقد كان لهذه الحادثة أثر كبير في نفوس البصريّين تجاه الشّركة<sup>(٤٤)</sup>.

لم تكن الأقليّات تسكن مركز المدينة فقط، بل إنّ أعداداً غير قليلة تسكن أطراف البصرة، فبالقرب من القرنة يذكر الرّحالة (سيستيني) أنّه مرّ بقريّة صغيرة تسمّى (جرف اليهود)، يسكنها العبريّون منذ أزمان بعيدة، وهم يُارسون حياتهم بصورة طبيعيّة دون أن يضايقهم أحد<sup>(٤٥)</sup>، ويبدو أنّهم كانوا يجاورون مرقد نبيّ الله عزرا (عزير)<sup>(٤٦)</sup>؛ إذ تنتشر بيوت اليهود بالقرب منه، وهو

يُطلُّ على الضَّفَّة اليمنى من نهر دجلة بين القُرنة وقلعة صالح، وقد جاور اليهود في هذه المنطقة عشائر آل بو محمد<sup>(٤٧)</sup>.

هذا الشأن يمكن أن نسلط الضوء على قضية التعايش الديني في أغلب مدن العراق، والبصرة على وجه التحديد، فالعشيرة في العراق تمثل ثقلًا مهمًا لحماية أفرادها والمنتمين إليها، وإن مصدر المعيشة -آنذاك- لبعض العشائر قائم على ما تستولي عليه العشيرة جرّاء الغزو أو السطو على الأجنب، وقد ذكر أغلب الرّحالة في كتب الرّحلات تعرّضهم لأكثر من مرّة إلى محاولة سلب أو دفع إتاوة لغرض حمايتهم<sup>(٤٨)</sup>، لكن في الوقت نفسه نجد أن أغلب الأقليات الدينية هم من أصحاب المال، وعلى الرّغم من سكنهم في مناطق بعيدة عن سلطة الدولة، كالقرى والأهوار، لكن تلك العشائر لم تتعرّض أو تسطو على هذه البيوت أو القرى الصّغيرة، وذلك يُعدّ فارقاً مهمّاً يعكس التعايش الديني السّلمي في العراق، والبصرة بصورة أدق.

على الرّغم من الحركة الاقتصادية الكبيرة التي تتمتع بها البصرة، لم يكن أهالي المدينة من العرب تحديداً يتمتّعون بالعيش الرّغيد، فأغلب الرّحالة الأجنب ذكروا أن هناك أعداداً قليلة جداً من العرب يشتغلون بالتجارة، وهم ميسورو الحال، أمّا تجار المدينة، فإنّهم من الأقليات الدينية الأخرى، كان أكثرهم مالاً هم الأرمن، الذين يتمتّعون بتجارة واسعة مع الهند والدول الأوربية، فقد ذكر الرّحالة (جاكسون) الذي زار المدينة عام (١٧٩٧م) أن «... أكثرية السكّان من العرب، أمّا البقية، فإنّهم من الأتراك والأرمن، ومعظم الأتراك من الرّجال العاملين في الجيش، أو في المناصب الحكومية الأخرى، أمّا الأرمن، فإنّهم

يشتغلون في التجارة، وبعضهم محترمون جداً، وهم تجارة ملموسة مع (شرقي الأنديز) والبرتغال،... أمّا بالنسبة إلى العرب وهم يؤلفون أكثرية السكّان، فلا يوجد سوى عددٍ قليلٍ من الأثرياء بينهم في حين أنّ القسم الأعظم منهم فقراء جداً، وهم يتعاطون أعمالاً شاقّة لقاء أجور ضئيلة»<sup>(٤٩)</sup>.

وعلى الرغم من ضيق العيش لأكثرية أهل البصرة، لم يسجّل الرّحالة اعتداءً منهم على الأقلية المسيحية من (مسيح، أو صابئة، أو يهود، أو غيرهم)، بل كانت الطوائف متعايشة ومتخالطة بسلمية واضحة، وقد سجّل جاكسون ذلك التعايش، بقوله: «توجد في المدينة كنيسة كاثوليكية رومانية جيدة البناء، والنّاس في المنطقة أقلّ تحرّشا بالأجانب من غيرهم»<sup>(٥٠)</sup>.

## الخاتمة

- ١- أدى الموقع الجغرافي في البصرة دوراً مهماً في إنعاش وزيادة التعايش الديني، فموقعها المطل على الخليج العربي، وكثرة الوافدين عليها، حتم على أهالي المدينة أن يتعايشوا مع مختلف الملل والنحل الواردة إلى المدينة.
- ٢- شكّل اقتصاد البصرة والتبادل التجاريّ فيها بعداً بارزاً في تطوّر واقع التعايش الدينيّ في المدينة، فالاستقرار الاقتصاديّ يرتبط ارتباطاً طردياً بالاستقرار والسّلم المجتمعيّ؛ لذا حرص أهالي البصرة على ذلك التعايش لعدّة قرون.
- ٣- لم تختلف طبيعة التعايش الدينيّ بين أبناء البصرة باختلاف الأزمان؛ إذ حافظ البصريّون على علاقاتهم الاجتماعيّة الجديدة بعضهم مع بعض، على الرّغم من تبدّل السّلطات الحاكمة للمدينة عدّة مرّات.
- ٤- لم يستطع الرّحالة أن يوثّقوا بصورة تفصيليّة طبيعة العلاقات الاجتماعيّة في المجتمع البصريّ بين الطوائف الدينيّة، بل اكتفوا بذكر بعض العلاقات الاجتماعيّة والدينيّة في المدينة.
- ٥- أسهمت بعض السّلطات الحاكمة في المدينة بتعزيز روح التعايش الدينيّ لاسيّما أسرة أفراسياب، التي كان لها دوراً مهماً في إشاعة الثقافة التسامحيّة بين الأديان.

٦- أسهم أبناء الدّيانات في الدّفاع عن مدينة البصرة، لاسيّما الصّابئة  
المندائيّون، الذين دافعوا عن المدينة خلال حكم أفراسياب ما يُظهر مدى التعاون  
والتّلاحم بين أديان المدينة.

## الهوامش

- ١- على مدى سنوات واسعة خضعت البصرة لسيطرة عدّة قوى، منها السيطرة العثمانية أو السيطرة الداخلية للمدينة، لاسيّما خلال فترة حكم أفراسياب وأولاده، أو السيطرة الفارسية خلال الحقبة الزندية؛ لذا حرصنا على أن لا ينسب البعض ذلك التعايش لدوافع السلطة ورغباتها في التعايش المجتمعي، بل هو أصل في المجتمع البصري. -الباحث-
- ٢- ليوناردو الكرملي، معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الإيطالية إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٥.
- ٣- المصدر نفسه: ص ٦
- ٤- ديللافاليه، رحلة ديللافاليه إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٣-٤.
- ٥- كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري وآخرون: ص ٩.
- ٦- للاطلاع على وصف المدن العراقية، يُنظر:  
جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز: بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤م؛ جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣م.
- ٧- كارستن نيبور، المصدر السابق: ص ٤٦-٤٦.
- ٨- دومنيكو سيستيني، العراق في رحلة الأب دومنيكو سيستيني في سنة ١٧٨١م، ترجمة: خالد عبد اللطيف حسين: ص ١٤٤.
- ٩- كارستن نيبور، المصدر السابق: ص ٤٥-٤٦.
- ١٠- جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة (١٧٩٧م)، ترجمة: فاروق عمر: ص ٣٦؛ عدّة مؤلّفين، رحالة أوروبيون في العراق: ص ٣٥.
- ١١- ديللافاليه، المصدر السابق: ص ١٣٠.
- ١٢- عدّة مؤلّفين، المصدر السابق: ص ٣٥.

- ١٣- كارستن نيبور، المصدر السابق: ص ٤٧-٤٨.
- ١٤- المصدر نفسه: ص ٤٨، ص ٦٠.
- ١٥- عدّة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٦٢؛ هيرونيموس سبستياني، رحلات سبستياني للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٤٩.
- ١٦- كاسبرو بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد: ص ٩٢-٩٣.
- ١٧- كانت تسود المناطق الصحراوية شبكة من العلاقات والصّراعات العشائرية بحيث لا يستطيع الأعراب تأمين تجارتهم أو أنفسهم إلاّ بحماية إحدى العشائر؛ لذا تعرض العشائر عليهم للحماية مقابل دفع مبالغ ماديّة محدّدة، أو بضائع عينيّة. للمزيد، يُنظر: عدّة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٣٨.
- ١٨- عدّة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٦٠-٦١.
- ١٩- المصدر نفسه: ص ٢٣.
- ٢٠- كاسبرو بالبي، المصدر السابق: ص ١٠١.
- ٢١- عدّة مؤلفين، المصدر السابق: ص ٢٣-٢٤.
- ٢٢- ليكلاما اينهولت، رحلة اينهولت الهولنديّ إلى العراق سنة (١٨٦٦-١٨٦٧م)، ترجمة: مير بصري: ص ٨٥-٨٧.
- ٢٣- أهل بنيان: وهم سكّان مدينة كمباجا (كامبي) التابعة لمقاطعة كوجرات، وبنيازون بأنّهم لا يتناولون أكثر من وجبة طعام واحدة في اليوم، وغالباً ما تتكوّن من الرّزّ والحليب والخبز، وهم لا يأكلون لحوم الحيوانات قطّ، وهم يجرّمون قتل الحشرات والقوارض، وكلّ أنواع الحيوانات الرّاحفة، وبنيازون بكونهم حليقي اللّحي، طالقي الشّارب وشعر الرّأس، وهم يلبسون العمامة والملابس البيضاء، وثيابهم طويلة جدّاً، لذا يجمعون أذيالها عند الصّدر، يتحدثون اللّغة الهندية، وبنيازون بشرتهم السّمراء الداكنة، ومن معتقداتهم الدّينيّة أنّهم يرقون الميت ويدرّونه في الماء والهواء والنّار، والمتبقّي منه يُدفن في الأرض، ويعقدون أنّ الإنسان مكوّن من مكوّنات الكون الأربعة، وهي: (الهواء، الماء، والنّار، والتّراب)؛ لذا يجب أن تسترجع هذه العناصر حصّتها بعد الموت. للمزيد يُنظر: كاسبرو بالبي، المصدر السابق: ص ٩٤-٩٦.
- ٢٤- المصدر نفسه: ص ٩٦.

٢٥- يبدو أنّ الرّحالة كان يقصد كتاب (الكنزة ربا)، وهي كلمة تعني باللّغة المندائيّة: الكنز العظيم، وهو أحد الكتب المقدّسة لدى ديانة الصّابئة المندائيّة، ويعتقدون أنّه يجمع صحف آدم وشيت وسام، ويتألّف الكتاب من (١٨) كتاباً في (٦٢) سورة، تقع في حدود (٦٠٠) صفحة، وهو بقسمين: القسم الأوّل: ويتضمّن سفر التكوين وتعاليم «الحيّ العظيم»، والصّراع الدائر بين الخير والشّر والنور والظلام، وكذلك هبوط «النفس» في جسد آدم، ويتضمّن كذلك تسيحاً للخالق، وأحكاماً فقهيةً ودينيّة، القسم الثاني: ويتناول قضايا «النفس»، وما يلحقها من عقاب وثواب. للمزيد، يُنظر:

<https://ar.wikipedia.org>

٢٦- كاسبرو بالبي، المصدر السّابق: ص ١٣١.

٢٧- المصدر نفسه: ص ١٣٢.

٢٨- أفراسياب: هو أفراسياب الدّيري، ينحدر أب سلجوقيّ وأمّ بصريّة من أهالي الدّير، كان كاتباً للجند في البصرة، استطاع عام (١٥٩٦م) شراء المدينة من الحاكم العثمانيّ علي باشا؛ وذلك لأنّ الأخير عجز عن صدّ هجمات القبائل العربيّة على المدينة، وكان الوالي قد عجز عن دفع مرتبات جنوده بسبب قلّة إيرادات الدّولة، وقد استطاع أفراسياب أن يوطّد حكمه، ويجعله وراثياً في ولده، لكنّ الدّولة العثمانيّة استطاعت إعادة سيطرتها على المدينة، فقد استطاع والي بغداد قرّه مصطفى باشا دخول المدينة وإسقاط حكم آل أفراسياب عام ١٦٦٧م. للمزيد، يُنظر:

علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثمانيّ، دراسة في العلاقات السّياسيّة (١٧٠٠-١٨٠٠م): ص ٣٨.

٢٩- دومنيكو سيسيني، المصدر السّابق: ص ١٣٦.

٣٠- ديلالفايه، المصدر السّابق: ص ١٣٢-١٣٣.

٣١- علاء موسى كاظم نورس، المصدر السّابق: ص ٣٩؛ ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط: ص ١٣٢.

٣٢- ديلالفايه، المصدر السّابق: ص ١٤٢-١٤٣.

٣٣- المصدر نفسه: ص ١٤٤-١٤٥.

٣٤- هيرنيموس سبستياني، المصدر السّابق: ص ٥٠.

- ٣٥- المصدر نفسه: ص ٥٠-٥١.
- ٣٦- المصدر نفسه: ص ٥٦.
- ٣٧- المصدر نفسه: ص ٥٧.
- ٣٨- عدّة مؤلّفين، المصدر السّابق: ص ١١٥.
- ٣٩- كارستن نيبور، المصدر السّابق: ص ٥٥-٥٦.
- ٤٠- المصدر نفسه: ص ٥٨-٥٩.
- ٤١- المصدر نفسه: ص ٦٠.
- ٤٢- المصدر نفسه: ص ٦٢-٦٣.
- ٤٣- المصدر نفسه.
- ٤٤- دومنيكو سيستيني، المصدر السّابق: ص ١٣٩.
- ٤٥- المصدر نفسه: ص ١٦٤.
- ٤٦- عزيز: هو أحد أنبياء بني إسرائيل من أولاد لاوي بن يعقوب، وجاء في التفاسير الإسلاميّة بأنّه الذي أمّته الله مائة عام وبعثه، وجاء ذكره في سورة البقرة الآية (٢٥٩)، وضحجه في مدينة العمارة، وهناك ضريح آخر في مدينة العيزريّة في القدس. أمّا مرقدّه في العمارة، فهو مشهد معمور تأتيه النذور من مختلف الملل، ويقوم على خدمته أبناء الطائفة اليهوديّة. للمزيد، يُنظر: محمّد بن السيّد أحمد الحسيني، رحلة المنشي البغداديّ، ترجمة: عبّاس العزّاوي المحامي: ص ٩٥.
- ٤٧- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي: ج ١، ص ٢٣٧.
- ٤٨- للمزيد، يُنظر: دومنيكو سيستيني، المصدر السّابق: ص ١٢٦-١٢٧؛ هيرونيموس سبستياني، المصدر السّابق: ص ٤٠-٤١؛ عدّة مؤلّفين، المصدر السّابق: ص ٧٨؛ كارستن نيبور، المصدر السّابق: ص ٩١-٩٢.
- ٤٩- جاكسون، المصدر السّابق: ص ٣٨، ص ٤٠.
- ٥٠- المصدر نفسه: ص ٤٠.

## المصادر والمراجع

- ١- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج ١، مطابع علي بن علي، (د.ت).
- ٢- جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة (١٧٩٧م)، ترجمة: فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٣- جيمس بي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣م.
- ٤- جيمس فيلكس جونز، مذكرات القائد جيمس فيلكس جونز، بغداد في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد الهادي فنجان الساعدي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٤م.
- ٥- دومنيكو سيستيني، العراق في رحلة الأب دومنيكو سيستيني في سنة (١٧٨١م)، ترجمة: خالد عبد اللطيف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٤م.
- ٦- ديلالفايه، رحلة ديلالفايه إلى العراق، ترجمة: بطرس حداد، شركة الديوان للطباعة، بغداد، ٢٠١٤م.
- ٧- ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر خياط، ط ٦، بغداد، ١٩٨٥م.
- ٨- عدّة مؤلّفين، رحالة أوروبيون في العراق، دار الوراق، بغداد، ٢٠٠٧م.
- ٩- علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية (١٧٠٠-١٨٠٠م)، دار الحرّية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
- ١٠- كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري وآخرون، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٢م.
- ١١- كاسبرو بالبي، رحلة بالبي إلى العراق، ترجمة: بطرس حداد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٥م.
- ١٢- ليكلاما اينهولت، رحلة اينهولت الهولندي إلى العراق سنة (١٨٦٦-١٨٦٧م)، ترجمة: مير بصري، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٢م.

- ١٣- ليوناردو الكرمليّ، معرفة الشّرق في العصر العثمانيّ، الرّحلة الإيطاليّة إلى العراق، ترجمة: بطرس حدّاد، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.
- ١٤- محمّد بن السيّد أحمد الحسن، رحلة المنشيّ البغداديّ إلى العراق، ترجمة: عبّاس العزّاوي المحامي، شركة النجاة للطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٨م.
- ١٥- هيرونيّوس سبستياني، رحلات سبستياني للعراق (القرن السابع عشر)، ترجمة: بطرس حدّاد، شركة الديوان للطباعة، بغداد، ٢٠٠٤م.

- مواقع إلكترونيّة:

<https://ar.wikipedia.org>